



**المسافة بين ورزازات وتنغير
حجر وعوسج وقلاع
مهجورة وواحات في
طريق الانقراض، وشباب
عاطل وحركات أمازيغية
غاضبة ونساء ملتحفات
بالأسود، أياد ناعمة تدمي
وهي تقطف ورد قلعة
مكونة مقابل درهم واحد
لكيلوغرام من أشواك.
عرائض احتجاجية وملفات
مطلبية متأهبة واقطاع
فلاحي، يزيد أقلية صغرى
ثراء وأغلبية ساحقة فقرا،
وجبال عارية تنبض بذكريات
هزائم المحتل الفرنسي
بحجارة دمرت عتادا عسكريا
كبيرا. بدو رحل يقضون
الليالي في العراء الموحش
متحدين قساوة الحجر
والرمال، ويحايدون عندما
يتعلق الأمر بأكبر عمليات
تهريب في المنطقة، فينؤون
بأنفسهم عن الخوض في
مشاكل قد تجلب إليهم شر
انتقام.**

**إنجاز: ضحى زين الدين
وتصوير عبد المجيد بزيوات
(موقفا الصباح إلى تنغير وإميضر)**

جبال تنغير... قاعدة خلفية لمهربي الفضة

الدرك يمشط جبالا حولها مهربون إلى مدينة خفية لترويج "النقرا" المسروقة

من اللصوص، يستخدم المدير وصف «كثير» ويتعد كثيرا عن إعطاء رقم محدد أو تقريبي، والشئ نفسه للمدير العام، يوسف الحجام، الذي استقل الطائرة من الدار البيضاء إلى ورزازات ومنها إلى تنغير من أجل حضور اجتماع طارئ عقده العمالة الجديدة، أكد أن المثلثين باتون كل ليلة بأعداد كبيرة، رافضا أن يحدد أي رقم، فيما لا يجد بعض العمال والأطر الذين تحدثوا إلى «الصباح» من وراء حجاب الشركة، حرجا في إعطاء رقم عن أعداد المثلثين، «ما بين مائتين وثلاث مائة، أحيانا يقل عددهم عن مائتين وأحيانا يتجاوز ثلاث مائة، هذه حقيقة، وعليهم الرجوع إلى الكاميرات لمعرفة الحقيقة، فهؤلاء منظمون بشكل خطير، إذ يكون لكل فريق منهم رئيس وحراس وحمالون، باتون محملين بسبوف وسكاكين وهراوات».

لا يحتاج هؤلاء إلا أن يشهروا سيوفهم ليحسح العمال وحراس الأمن الطريق لهم، يختارون القطع الجيدة ويحشون أكياسهم بها ثم يعيدون من حيث أتوا، لكن الغريب أنهم لا يخرجون جميعا من السور، بل من كل مكان، فإن كانوا يدخلون من الجهة الخلفية فإنهم عند الخروج لا يستخدمون المسلك نفسه».

أما قصة المهربين والمثلثين الذين أحكموا قبضتهم على منجم إيميضر ومحيطه، فلا تولد فيهم إلا الاستغراب، «منذ سنوات وهؤلاء يقتحمون المنجم، ما الذي طرأ اليوم؟»، الجواب يأتي على لسان المدير العام للشركة، يوسف الحجام، «أصبحت حياة العمال ومعداته في خطر، وما يهمنا أكثر هو سلامة عمالنا وأطرننا وكذلك ممتلكات المنجم، فظاهرة سرقة المعمل ليست جديدة، لكنها تفاقمت في الآونة الأخيرة وأصبحت لا تحتمل».

سرقة المنجم ليست قدرا لا يرد، بل هي صورة حية عن التهاون الأمني في المنطقة، هذه حقيقة لم تنر في السكان احتجاجا، لأن منهم من يشارك في عمليات الهجوم المنظم على فروات المنجم.

«من هنا، ومن هناك، من كل مكان، يغتصن جبل الفضة، يتحلقون حوله، ويشرعون في لمرء الأكياس، لا أحد يستطيع ردهم لأنهم كثير»، يقول مدير المنجم الغوتي، ويضيف المسؤول نفسه، «لأسف لا يستطيع حراس الأمن الخاص منهم، لأنهم كما قلت سابقا كثير وخطيرون، إضافة إلى أن شركة الأمن الخاص لا تتوفر على البات منع هجوم بهذا الحجم، وتعاقدنا معها يلزمه بالمراقبة وليس برد هجوم عدد كبير

منجم إيميضر، لكنها تثير ابتسامة غامضة لدى سكان تنغير، «شمال من أسكاس آيا، يلان المهربين»، يقول أحد السكان، مستصغرا حماسك إلى المزيد من المعطيات عن المثلثين، والتي لم تعد تثير في السكان أي فضول، ما عدا معسكر الدرك الذي استقر عند أقدام المنجم، واختار لنفسه موقعا يجعله غير مرئي من كل الجهات، هذا فقط ما يبحث فيه الترقب، وهذا ما يجعلهم يطردون الخمول الذي يحمله قبط صيف مبكر إلى أجسادهم، فيعتدلون في جلستهم بكل حماسة، «لا أحد يستطيع الاقتراب من الخيام التي نصب في الجبال، لكننا رغم ذلك نعرف ما يجري هناك، جاء حسني بنسليمان شخصا ليدشن مركزا للدرك في المنطقة، وهو مركز قديم أغلق منذ سنوات وعاد بنسليمان لبيعته من جديد، وربما ستبقى المروحية هنا، لن تعود إلى الرباط حتى تنتهي الحملة»، هذا فقط ما يفيض السكان في الحديث عنه، سواء كانوا من منتخبي المنطقة أو مجتمعها المدني أو رعائتها أو سائقي طاكسياتها أو نوابل مطاعها ومقاهيها، الدرك ومعسكره في المنطقة وحده ما يجعلهم يسهون في التساؤل والتحليل والتخمين والاستنتاج.

أي متابع، ومنهم «تجار مواد بناء وتجار ملايس ومقاولون، وكان الجميع يعرف أن هؤلاء من كبار مهربي الفضة الصافية بتنغير، إذ كانوا يتعاملون مع لصوصها ويبيضون أموالهم في العقار وفي محلات تجارية لبيع مواد بناء على وجه الخصوص، لذلك تجد بعضهم يتعاملون بمرونة ولبونة مع زبائنهم، إذ يطلون منهم أخذ السلع والدفع بالتقسيط المريح، في حين يسجلون في سجلاتهم أنهم تقاضوا ثمن المواد التي روجوها في المنطقة، والحال أن الأموال المسجلة هي ما يجنونه من الفضة، بمعنى آخر هم يبيضون أموال الفضة المهربة ويعطون شرعية لثرواتهم المتركمة»، من هنا، إذن، بدأت أولى مؤشرات الحملة، التي لن تنتهي بحملات تمشيطية يقودها الجنرال حسني بنسليمان في جبال تنغير العارية والوعرة، خاصة المحطة بمنجم إيميضر، بل هي بداية فقط لتغيير شامل ستعرفه المنطقة.

التهريب القديم/الجديد

قد تصدمك أنت الآتي من وراء جبال «تيشكا» واقعة المثلثين الذين يشنون هجوما منظمًا على

ومدن أخرى مجاورة، وهذا، حسب مصادر من المنطقة، أولى مؤشرات الحرب التي تقاد اليوم على واجهتين، إحداهما سياسية والثانية أمنية، وهي الحرب التي أدرك المهربون أنها لن تفلتهم، لذلك لأنوا بمدن أخرى في انتظار أن تتضح خطة عمل العامل الجديد التي بداها بزيرات ميدانية إلى مناطق معزولة في منطقة الترابية، وبوضع فضة إيميضر على قائمة أولوياته، باعتبارها الثروة الوحيدة في المنطقة التي يجب تحريرها من أيادي المهربين.

فر المضاربون والمهربون الكبار إلى المدن المجاورة، «تركوا تنغير وضواحيها واستقروا في بومال داس وورزازات ومدن أخرى في المحيط، واستخدموا أموالهم في محلات تجارية وبناء عقارات»، تقول المصادر ذاتها، وتضيف أخرى متطابقة «قبل حوالي شهر استدعي بعض هؤلاء وتم الاستماع إليهم، ومن هنا بدأ الناس يعرفون أن حملة قوية ستبدأ وستوضع رؤوس كثيرة تحت المصقلة».

حتى الآن، مازال البحث في مراحله الجنينية، وأغلب الذين اعتقد المواطنون أنهم سينالون أخيرا عقابهم، أفرج عنهم، بل لم يتم اعتقالهم أصلا، بل تم استدعاؤهم للاستماع إليهم دون أن تحرك ضدهم

المسافة بين ورزازات وتنغير، أيضا، حديث ساخن عن العمالة الجديدة التي قطعت حبل السرة الطويل حد 300 كيلومتر تفصل المدينيتين عن بعضهما. حديث عن مهربين صفوا علاقتهم بتنغير ولادوا بورزازات، قبل حتى أن تبدأ التحقيقات والمتابعات القضائية في قضية تهريب ثروات أكبر منجم للفضة الصافية بإفريقيا، العالق في جبال صحراوية بإيميضر منذ سنة 1969.

حدث منعه منعرجات، «تيشكا، الخطيرة من الوصول إلى المدن الأخرى، خاصة الرباط عاصمة القرارات الكبرى، على حد تعبير أحد شباب الحركات الأمازيغية في المنطقة قضية تهريب ثروات إيميضر لم تنجح من قرار تغيير القائد الجهوي للدرك الملكي للمنطقة قبل أيام، وتوحيضه باخر، كما قد تفهم أنت الوافد على المنطقة قبل أن تعبر منعرجات «تيشكا» تلك، بل بدأ التغيير سياسيا، قبل أن يتحول إلى حملة أمنية، ولذلك ما أن خرج قرار إحداث العمالة، حتى لو تم ذلك في فندق، في انتظار بناء مقر لها، حتى سارع كبار المضاربين في «النقرا» أو بالأحرى ثروة تنغير الوحيدة بعد الحجارة التي نهب هي الأخرى في واضحة النهار، (سارعا) إلى الاستقرار في ورزازات

الغاضبون من "توزاكت"

بعض مسؤولي المنجم شركات المناولة بتقافونهم، فهذا يرسلهم إلى ذلك إلى أن يتسوا وعادوا إلى الدوار خائنين، أولا يدعو مثل هذا التصرف إلى شن معركة تضاللية أكثر قوة من الأولى»، يقول أحد ممثلي السكان.

مضيفا «لو أنهم شغلوا مائتي فرد من بين 5000 نسمة في الجماعة لضمنوا لكل أسرة مورد عيش، وسلهوا الأمر علينا وعليهم، لكنهم يجلبون العمال من مناطق بعيدة ويهملون أبناء الجماعة قصدا، بل أكثر من ذلك يتهمونهم بسرقة المنجم».

هذا موضوع آخر ناقشته إدارة المنجم مع ممثلي السكان، «قلنا لهم امنحونا حق حراسة المنجم، واتركوا لنا صلاحية تفتيش كل داخل وخارج منه بمن فيهم الأطر والمسؤولون وسترون وإن سرق غرام واحد من الفضة نعاقب، لكنهم رفضوا اقتراحنا وتركوا الشركة للصوص والمهربين، يسجل الطاهري النائب الثاني لرئيس الجماعة.

وهو ما يرد عليه المدير العام للشركة يوسف الحجام، ليست الشركة ملزمة بتشغيل عمالها من الدوار فقط بل لابد من تنوع اليد العاملة، وهذا لا يعني أننا لا نشغل أبناء الدواوير المجاورة، بالعكس لدينا عمال من كل منطقة، أما ما يتعلق بالبروتوكول الذي يربطنا بالنقابة، فهو يلزمنا بإعطاء الأولوية لتشغيل أبناءهم، وهو بمثابة قانون، لكن منتخبي الجماعة يرونه غير قانوني بالمر، ويطالبون بإلغائه.

في المطالبة بالاستفادة من خبرات المنجم، «تركنا امر البيعة إلى الوزارة الوصية، لأننا حملنا إليها تقريرا مفصلا وفيه صور ووثائق تدعم ما قلناه مرارا، والكرة الآن في ملعبها، لأنها مطالبة بإيفاد لجن وخبراء للتحقيق في الموضوع، وأما قضية الاستفادة من ثروة منجم يقع في تراب جماعتنا فتلك معركة لم تنته ولن تنتهي إلا بتحقيق مطالبنا»، يقول رئيس الجماعة الشاب، ويحرك نائبها رأسيهما دلالة على الموافقة.

آخر احتجاج قادته جماعة إيميضر كان في فبراير الماضي، إذ انتقل هؤلاء إلى الطريق الرئيسية التي تسلكها شاحنات مقاولات المناولة، ووضعنا السيارة في عرض الطريق ومنعنا أي شاحنة تابعة إلى شركات المناولة من المرور، طالبنا الماشا بإزاحة ما أسماه سيارة الدولة من الطريق، لكننا واجهناه: نحن أيضا أبناء الدولة، ولنا الحق في الاحتجاج، وسيارة الدولة هي سيارتنا، واجهناه بما لدينا من صلاحيات يضمناها لنا الميثاق الجماعي، فضعنا عليهم لفتح حوار جدي».

لم يترك السكان ومطلوهم الجماعيون المكان إلا بعد أن انتزعوا اتفاقية من المنجم، «إلا أن إدارة الأخير لم تلتزم، فقد اتفقنا على أن يكون لإنشاء المنطقة نصب في فرص الشغل المقلبة بنسبة 50 في المائة، وبالفعل اتصلوا بنا وطلبوا خمسة عمال، فأرسلنا إليهم خمسة شباب من بين 80 شابا عاطلا يحتجون يوميا أمام مقر الجماعة، لكن عوض تشغيل هؤلاء الخمسة، بدأ

وما على فلاحين إلا أن يتحولوا إلى بدو رحل بعد أن كانوا يمارسون فلاحتهم باطمئنان».

يتحدث رئيس الجماعة، الحسن باحمو ونائبه الثاني ميمون الطاهري ونائبه الثالث حسن البهجاوي، عن سموم تلتفظها مرافق المنجم، وهي سموم ناتجة عن مادة «السيانور» الكيماوية، التي تتسبب، حسب مسؤولي الجماعة، في نفوق الأغنام، وتلوث المياه، لكن المدير العام للشركة ينفي ذلك ويؤكد أن الشركة تعتمد نظاما خاصا لتدوير المياه، «لا تخرج المياه عن تراب المنجم، ولدينا تقنيات تجعلها تدور في دورة واحدة أي تنطلق من المنجم وتعود إليه».

لكن مسؤولي الجماعة لا يترددون في حمل الكاميرات والآلات التصويرية ويقتلون إلى كل مكان تتسرب منه مياه عادمة من المنجم، «انظروا هناك، هل توجد هنا حياة حتى للحشرات، هل ترون ضفدعا في المكان، هل ترون أي طائر؟ هل من الطبيعي أن تكون هنا شبيه بحيرة ولا يعيش فيه أي حيوان؟ وليتكم وصلتم حين نقتأ اغنام أحد فلاحي المنطقة، لأنها شربت من هذه المياه في لحظة سهو من راعيها، ليتكم كنتم هنا حين جمع بعض فلاحي المنطقة أمتعتهم وغادروا دون رجعة».

وإذا كان الباس قد بدأ يتسرب إلى نفوس سكان إيميضر في ما يتعلق بالبيئة، وعجزوا عن مواجهة الشركة في هذه الحلبة، فإنهم مصرون وملحون

سبعة دواوير غاضبة من «توزاكت»، وهو الاسم الذي يشير به سكان المنطقة إلى منجم إيميضر، فالعلاقة التي تربط سكان جماعة إيميضر التي يقع في ترابها المنجم علاقة «دموية»، لأن عصا المخزن جلدت ظهورهم في الثمانينات وفي التسعينات أيضا، ولا يخشى هؤلاء أن يتذوقوا عنف القمع مرة أخرى إذا لم تستجب إدارة المنجم إلى مطالبهم، وهذا ما قام به هؤلاء منتصف فبراير الماضي، حين نصبوا خيام الاحتجاج والإعتصام في الرقعة نفسها التي نصب فيها رجال حسني بنسليمان اليوم معسكرهم، فالجلس الجماعي الذي يقوده شباب ينتفون في حزب الأضالة والمعاصرة يخوض معركة، لن تكفي وعود وتسويات لنزع قبيلها، بل إن هؤلاء الشباب يقسمون بارضهم التي تمتعت عن إثارهم، وعوض أن تكون مصدر تنميتهم، تحولت إلى عدو، إلى سوء حظ يتجسد في أقسى الصور، يقسمون على مواصلة النضال حتى ترويض المعدن، «لا يكفيهم أننا لا نستفيد شيئا من المنجم غير الضرائب التي لا نتوصل بها في الوقت المناسب، بل إن المنجم يقضي حتى على فرصنا الأخرى، ففلاحتنا متضررة نتيجة التلوث، ومصدره المنجم بكل تأكيد، وليس التلوث وحده ما يحرص المنجم على إهدائنا إياه بمناسبة وبغيرها، بل أيضا ديمر فرصتنا المائية، إذ لم تكف الإدارة بحفر بئر واحدة وتجهيزها بمعدات ضخمة لا يمكن لمعدات الفلاحين البسطاء أن تنافسها، وذلك لجلب أكبر كمية من المياه، بل جهزت بئرا ثانية، لذلك جفت آبار المنطقة،



نفايات المنجم التي يشتكي منها السكان



قنوات لجلب المياه إلى المنجم



قرية إيميضر